هذا الفندق العجوز من شهود التاريخ!

إسماعيل منتصر

التحرير

« نكته » قالها « سره » فى الصباح .. أضحكت الرجل حتى كاد يستلقى على ظهره من الضحك « نفس النكتة » قالها « سره » فى المساء ! فجعلت الرجل يرتجف من الخوف ! أما سره فهو دوق وندسور الشهير .. وأما الرجل فهو مدير فندق مينا هاوس .. والنكتة ها حكاية .. والحكاية واحدة من الحوادث التى شهدها الفندق « العجوز » !

تقول الحكاية إنه فى صباح يوم ٢٢ ديسمبر من عام ١٨٩٢ صدرت جريدة « الأيجبشيان جازيت » تحمل أغرب إعلان يمكن أن يتخيله المرء .. كان الإعلان عبارة عن نكتة نشرها ثالث مالك للفندق مينا هاوس على حسابه .. تقول « إن السائح سأل الدرجمان : كيف كان الملك خوفو يراقب سير العمل فى بناء هرمه الأكبر ؟

فأجاب الدرجمان .. من شرفة غرفته بفندق مينا هاوس !

ومنذ هذا التاريخ أصبحت هذه النكتة شائعة لدرجة أن آلاف الزوار من نزلاء الفندق تعودوا أن يقولوها .. ويبدو أن تعليمات الإدارة لموظفى الفندق أن يضحكوا بشدة عند سماع النكتة مجاملة للزبائن .. ويبدو أيضا أن أحدا من هؤلاء الزبائن لم يساوره الشك فى حقة دعه .. إلا نزيلا واحدا .. هو دوق وندسور الشهير .. وفى عهد بريطانيا .. فقد كان « سره » فى زيارة لمصر عام ١٩٢٨ .. واختار فندق مينا هاوس لإقامته .

وكالعادة ألقى النكتة فور وصوله .. وضحك لها الجميع .. ولكن مدير الفندق « فريدى إيفارت » ضحك أكثر من اللزوم وبطريقة أثارت شك وفى العهد .. ولكن الدوق لم يقل شيئا .. وفى المساء وعلى مأدبة العشاء تعمد الدوق أن يلقى نفس النكتة .. وضحك لها مدير الفندق بنفس الحماسة التى ضحك بها فى الصباح .. ووقف وفى عهد بريطانيا العظمى من على كرسيه .. ونظر إلى المدير نظرات نارية .. كاد قلب الرجل ينخلع لها .. وقال الدوق متهيى الغضب .. ألم تضحك على نفس النكتة فى الصباح أمامى ؟ ! ورد المدير وهو يمسح من على وجهه حبات العرق التى نضحت فجأة قائلا .. لقد كنت أضحك الآن على خيالى لأنى لم أفهم أن سيادتكم تكرار النكتة قد كشفق

اوجنى الجميلة .. من أجلها أعد الفندق

الخديوى إسماعيل خديو مصر

ويبدو أن رد المدير قد أعجب الدوق .. فعاد الرجل الذى تكهرب فجأة لصفائه !

وإذا تجاوزنا المعنى المباشر لهذه النكتة فإننا فى الحقيقة سنكتشف أن لها معنى أكثر بكثير من مجرد الضحك عليها .. فهذه النكتة قد جعلت من فندق مينا هاوس .. أحد المعالم التاريخية التى لا تقل شهرتها عن شهرة الهرم الأكبر ! .. حتى إن تراجمة المنطقة يرددون للسياح تاريخ الفندق وحكاياته وأسراره وفضائحه وكأنه أحد المعالم الأثرية الشهيرة .. وليس ذلك بغريب .. فقد أنشىء هذا الفندق « العجوز » فى عام ١٨٦٩ والأحداث العربة تقع داخله .. ومئات الشخصيات الشهيرة التى أثرت فى مصير العالم تختاره للإقامة .. ويشهد الفندق الكثير من المؤتمرات الخطيرة .. بل إنه حتى الحروب العالمية كانت تدار منه .. ويبدو أن الفضل فى إنشاء هذا الفندق يعود إلى جميلة جميلات عصرها .. « أوجيني » التى أطلق اسمها على خديو مصر .. إسماعيل !

جميلة الجميلات أول النزلاء

كانت الاحتفالات تجرى على قدم وساق بمناسبة افتتاح قناة السويس .. وقام الخديو إسماعيل بإنشاء دار الأوبرا المصرية .. ووصفت الشوارع .. وزينت الميادين .. وانشغل الخديو .. وانشغلت معه مصر كلها بالاستعداد لاستقبال ملوك أوروبا وعلى رأسهم .. الإمبراطورة أوجيني .. وكان من المقرر أن تقوم الإمبراطورة بزيارة منطقة الهرم .. وكانت الرحلة من القاهرة إلى الهرم تستغرق فى ذلك الوقت بضع ساعات فى الذهاب ومثلها فى العودة .. ولذلك تقرر أن تبيت الإمبراطورة عند زيارتها الهرم ليلتها فى أحضانه حرصا على راحتها .. واختار الخديو استراحته المفضلة للصيد وتواجدت بجانب الهرم لتبيت الإمبراطورة ..

وأضيفت إلى الاستراحة بعض الحجرات .. وأعيد تأثيثها ومع الغاء حجرة المكتبة وتحويلها إلى حجرة طعام .. وفى النهاية كانت الاستراحة فى أجمل وأبهى وأحلى صورة ممكنة تليق باستقبال جميلة الجميلات .. ولم يكن من الصعب على الخديو أن ينجز هذا العمل الضخم فى أسرع وقت ممكن .. وهو الذى أرسل إلى فرنسا خصيصا بعض المهندسين الفرنسيين والإيطاليين ليعاونوا جناح الإمبراطورة الخاص حتى يتم بناء جناح مماثل له فى فندق جزيرة بالاس الذى تقرر أن تقيم فيه أوجيني .. حرصا من الخديو على ألا تحس الإمبراطورة بالحنين إلى الوطن .. وبعد انتهاء الاحتفالات وعودة الملوك إلى بلادهم .. تم تخصيص هذه الاستراحة الخديوية لاستقبال ضيوف مصر الكبار .. ولكن الدار لم تأخذ اسمها المعروفة به حتى الآن إلا بعد أن انتقلت ملكيتها إلى إحدى العائلات الإنجليزية التى أقامت فى مصر .. فقد أحست هذه العائلة أن موقع الدار بجوار الهرم الأكبر والمناخ الساحر الذى يحيط به بالإضافة إلى إتساعه يمكن أن يستغل فى استضافة بعض النزلاء .. وفعلا تم تحويل الدار إلى فندق سمى بفندق مينا هاوس

موسيليني تحى غرو ميناهاوس

رومنتجومرى حطم أمينه

وأغلى أهم الفترات فى تاريخ حياة فندق مينا هاوس هى فترة الحرب العالمية الثانية .. التى شهدت أرجاء الفندق فيها أخطر الاجتماعات التى غيرت من وجه الحرب .. اتخذ نشوب الحرب قامت بريطانيا باستئجار الفندق لحسابها لكى يكون مقرا لاستراحة كبار الضباط والقادة الإنجليز .. وتتحول مينا هاوس بمرور الوقت إلى مقر غير رسمى لقيادة الحلفاء : الجنرال اركنك والمارشال ويفل .. أقاما فيه .. والجنرال رينش ثالث قادة الجيش الثامن أيضا أقام فيه .. بل إنه كان يدير الحرب من الطابق غرفته بالفندق ومعه عشيقته ! .. وقد كان هذه العشيقة كلب مدلل يدعى « ايرما » .. كانت حريص على أن يتناول هذا الكلب فرخة مشوية كاملة كل يوم فى العشاء .. وبسبب هذه الفرخة كانت تقيم الدنيا وتقعدها كل يوم .. فرة الفرخة باردة على الكلب ! .. ومرة ساخنة ! ومرة غير ناضجة ! وكانت تصرفاتها السخيفة محل انتقاد

شارلى شابلن

هذا الفندق عاش أكثر من قرن

كبار الضباط الذين لم يجرءوا على إظهار شعورهم تجاه عشيقة الجنرال ! وحدث يوما أن اصطدمت عشيقة الجنرال مدير الفندق ووبخته على الفرحة إياها ! وثارت فى غضبها حتى كانت الفرحة فى وجه المدير وهى تقول له قد يعجبك شواء هذه الفرحة ولكنه لن يعجب إيرما وأحس المدير بالإهانة فقال لها . إذا كنت حريصة على أن ينال كبابك طعاما أجود مما تقدمه فاحق لنفسك عن فندق آخر ! . . وتوعدته المرأة بالعقاب عند عودة الجنرال . . الذى احكى بتوبيخه أمام عشيقته . . ولكنه قال له بعد انصرافها . . لقد قلت هذه المرأة ما لم أجد فى نفسى الشجاعة لأقوله . . أهنئك !

ويحكى مونتجرى قائد معركة العلمين الشهير ويلم بالفندق . وتشغل قاعات الفندق باحتفالات النصر . ويتم إخلاء الفندق من كل نزلائه فقد تم تخصيصه للاجتماع الشهير الذى حضره تشرشل وروزفلت وشانج كاى شيك . . وقبه اتفق على خريطة عالم ما بعد الحرب .

ومن الطرائف التى تذكر أن ستالين أرسل إلى تشرشل أثناء إقامته بمبا هاوس ثلاث علب من الكافيار الروسى من أفخر أصناف الكافيار . . ولكن الرئيس حسن طياع الفندق يقرر أن يرسل علبة منها إلى أحد أصدقائه وهو الدكتور زكى سويدان الطبيب المشهور والذى كان الرئيس حسن أحد زبائنه . . قائلا لنفسه تكون جدا لتشرشل علبتان !

ويحكى لكى نعرف أن شهرة الفندق قد أصبحت عالمية أن موسوليني قد طلب رسميا من القوات الألمانية أن يكون الفندق مقرا للقيادة الإيطالية بالقاهرة بعد أن تدخلها قوات المحور منتصرة ! . . ويبدو أن موسوليني قد تمادى فى حلمه لدرجة انه أعد فعلا قائمة الطعام التى كانت ستقدم له فى أول يوم ينزل فيه فى بمبا هاوس . . كانت القائمة تضم حساء سمك البلح ودجاج الفيوم وحملا مشويا على الطريقة البدوية وحلوى ألف ليلة . . وفاكهة الموسم . . وقهوة شرقية . . وتشاء الأقدار ألا ينال موسوليني رجبته التى حلم بتناولها فى أحضان الهرم الأكبر . . وحتى

روزفلت أول رئيس أمريكى يزور مباهاوس

روميل ثعلب الصحراء . وحلم لم يتحقق

روميل ثعلب الصحراء . . كان يتمنى هو الآخر أن يرتشف كوبا من عصير الليمون فى شرفة غرفته بمبا هاوس . . ذلك الفندق الذى طالما وصلت روميل التقارير السرية عن الاجتماعات التى كانت تعقد فيه !

إزعاج فى منتصف الليل !

والفندق أيضا له ذكريات قديمة مع ملوك العالم . . وكانت هى به حوادث غريبة ونادرة . . الملك فاروق مثلا كان مشهورا باقتحام الفندق فى وعر الليل . وإيقاظ نزلائه بالضغط على نجر سيارته الخاصة . . وكانت سعادته تصل إلى قمتها وهو يرى مدير الفندق يرتدى ملابس النوم لجرى سبب هذا الإزعاج . . وبعد هذا الفاصل المزعج يذهب الملك فاروق لمقابلة صديقه الوحيد بمبا هاوس وهو الطباخ الإيطالى بينى أما الشىء الوحيد الذى لم يكن الملك يفضل أن يفعله بالفندق هو أن يلعب به القمار . . ولكن أغاخان الذى كثيرا ما لاعب الملك . . كان له رأى آخر . . فالفندق كان المكان المفضل لإقامة أغاخان وزوجته أم حبيبة . . وذات يوم حضر الملك لاصطحاب أغاخان إلى الأوبرج ليلعبا معا ولكن أغاخان رفض الذهاب إلى الأوبرج مصرا على اللعب فى الفندق . . وراق الملك . . وخسر يومها ٥ آلاف جنيه ! وامتدت

تشرشل وهو الخارج من هذا الفندق

أغاخان من الملك للحاق بالطائرة المسافرة إلى باريس . . لكن الملك طلب منه الاستمرار فى اللعب ساعة أو ساعتين لتعويض الخسارة . . وأصر أغاخان . . وساعتها قال فاروق لمرافقيه . . غريب هذا الرجل . . فهو أغنى رجل فى العالم وليست عنده طائرة خاصة !

شهد الفندق أيضا حضور الملك زوغو ملك ألبانيا السابق وآخر ملوكها . . ومعه زوجته الجميلة جيرالدين وابنهما الصغير الذى كان يعانى من مرض خطير هدد حياته بالموت . . وتصادف ان كان يقيم بالفندق فى ذلك الوقت عام ١٩٤٩ الطبيب المشهور عمر شوق باشا . . ورغم أن أطباء العالم لم يستطيعوا علاج الطفل الصغير من مرضه الخطير فإن الطبيب المصرى تمكن من إنقاذ حياته بإعطائه جرعات مضاعفة من المضادات الحيوية . . ويومها شاهد نزلاء فندق مبا هاوس الملكة جيرالدين وهى تقبل يد الطبيب عمر شوق باشا !

حادثة أخرى يطلها الملك زوغو أيضا . . فعندما حضر للإقامة بعشر أحضر معه عدة صناديق حديدية . . تضم مجوهراته . . وكان الصندوق الواحد مغطى بسجاد أفغانى ضخمة . . وطلب الملك من إدارة الفندق ان تحتفظ بمجوهراته فى خزائنها . . ولكن بعد نهاية الحرب اتضح أنها لا تكون مجوهرات الملك . . فأسرعت إدارة الفندق وطلبت من إحدى الشركات العالمية إرسال خزانة حديدية ضخمة للملك ولم تعجبه . . فطلبت خزانة أخرى ولكنها ! . . حتى جاءت أخيرا خزانة ضخمة لم يمكن إدخالها من باب الفندق . . فتم رفعها بالحبال وإدخالها من شرفة غرفة الملك وغرقت عيون الملك اليوم أخيرا بعد أن أصبحت المجوهرات فى مكان أمين !

الإمبراطور هيلاسلاسى أيضا كان من نزلاء الفندق . . والملك الراحل سعود . . وبول ملك اليونان . . وعناويل ملك إيطاليا . . وجوستاف ملك السويد واخريد ملكة الدانمارك .

أنت الذى أبحث عنه !

ومن المشاهير العالميين أيضا من بين أشهر نزلاء الفندق العجوز . . فقد أقام بالفندق روبرت تايلور والبانور باركس للعمل فى فيلم وادى الملوك . . أيضا زاره شارلى شابلن . . وريتا هيوارث وكاترين هيبورن . . ومارجو فونتين ودورين ويلز . . زاره أيضا نشارلتون هستون واخرج العالمى سيسل دى ميل أثناء إخراج فيلم الوصايا العشر . . ويحكى أن المخرج العالمى ظل ليلة كاملة يعانى من الأرق الشديد أثناء إقامته بالفندق . . ولم تكن هناك أية فائدة من الحبوب المنومة التى طلبها . . ومن الموسيقى الهادئة . . ومن السرير الفاخر الذى أحضرته إدارة الفندق خصوصا من أجل خاطر عيون الفن ! وحدث فى هذه الليلة أن تبادل المخرج الخبير تليفونيا مع أحد موظفى الفندق واسمه عبد المنعم عبد الهادى . واعترف المخرج العالمى أن سبب أرقه هو البحث عن شخصية هامة من شخصيات فيلمه خصوصا بعد أن أحضر له الفنانون على تنفيذ الفيلم ألف صورة فلم تعجبه ولا صورة واحدة . . وفى الحال طلب عبد المنعم من كل موظفى الفندق إحضار صورة كل رجل يزيد عمره على ١٨ عاما . . وفى الصباح كانت أمام المخرج العالمى ٣ آلاف صورة ليختار منها شخصية . . ولكن سيسل دى ميل صرخ لأول وهلة عندما رأى عبد المنعم عبد الهادى قائلا له . . أنت الشخصية التى أبحث عنها لتمثيل دور الساحر فى فيلمى . . فيلم الوصايا العشر . . وفعلا لعب موظف الفندق الدور . . وأجاد . . وحاول المخرج إقناعه بالذهاب إلى هوليود . . ولكنه رفض . . وأصبح بعد ذلك عضو مجلس إدارة الفندق .

وتمضى الأيام . . والشهور . . والسنون . . ويبدو أن التاريخ مصر على أن يضيف لهذا الفندق أمجادا جديدة تصلح بعد مئات الأعوام لكى يذكرها الناس ! . . أشهر هذه الأمجاد الجديدة هو اجتماعات السلام التى جرت فى قاعاته فى العام الماضى . .

وليظل هذا الفندق العجوز أحد شهود التاريخ ! !